العرب
السبت 2020/05/09
السنة 42 العدد 11697

الفايروس الطائر برعاية إيرانية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لقد قيل إنه كائن ميت. وقيل أيضا إنه ليس ميتا وليس حيا. أي أنه بين بين. كما أنه يعيش بطريقة مجازية على السطوح لأوقات متفاوتة حسب نوع السطح. تلك نظرية فرضت على البشر استعمال القفازات والمواظبة على غسل اليدين. غير أن هناك نظرية أخرى تقول إنه ينتقل عن طريق الهواء فقط وهو ما يعني أن الاقتراب من شخص مصاب هو وحده ما يشكل خطرا. تلك نظرية تحث على استعمال الكمامات.

في المحيط الاجتماعي وبعد أنباء الموت الجماعي المروّعة صار الحذر هو الغالب. يمكنك أن تخرج من البيت من غير قفازات لكن بشرط أن لا تمسّ شيئا. تقفز بين درجات السلم مثل عصفور وحين تصل إلى الباب ستكون عاجزا عن فتحه بأصابعك. تلك مشكلة يمكن تداركها من خلال استعمال المناديل الورقية. أما حين تتسوق فعليك أن تضرب بأصابعك على شاشة الشراء لكي تتمكن من دفع ثمن مشترياتك. ستكون هناك مجازفة يمكنك عبورها حين تعود إلى البيت وتغسل يديك حسب تعليمات منظمة الصحة الدولية.

ما فعلته إيران لا يقل عما فعلته الصين على مستوى خدمة انتشار الفايروس. الفرق بين الدولتين يكمن في أن الصين قد تجد في الجهل حجة للتهرب من المساءلة وهو ما لا تملكه إيران. فالأخيرة قامت بنشر الفايروس في كل بلدان الشرق الأوسط والخليج العربي عن قصد مسبق

أما بالنسبة للكمامات فإن استعمالها ليس يسيرا. منذ أن حللت في لندن وأنا أرى صينيات وصينيين وهم يرتدون الكمامات أثناء تنقلهم عبر قطار الأنفاق. كنت حينها أشعر بالاختناق بسبب ما تتركه صورهم من أثر نفسي علي. ولمناسبة انتشار الوباء جربت استعمال الكمامة وفشلت. لذلك حرصت على مسافة تبعدني عن الآخرين الذين صار علي أن أتعامل معهم باعتبارهم مرضى. تلك ظاهرة ستقود في ما بعد إلى جنون جماعي.

ولكن الفجيعة تكمن في مكان آخر.

كانت ووهان هي المدينة التي انطلق منها الفايروس ليصول ويجول بين مختلف أنحاء العالم. لقد حمله المسافرون معهم بالخطأ إلى بلدان عديدة. ستكون مساءلة الصين قضية معقدة. لن تربح الصين تلك القضية ولكنها لن تخسرها. يوم ظهرت الإصابات الأولى بالمرض المميت كان كل شيء غامضا ويمكن للصين أن تجد في ذلك الغموض عذرا. غير أن ما فعلته إيران في مرحلة ما بعد اكتشاف الوباء لا يمكن السكوت عليه. لقد ساهمت دولة الولي الفقيه بحكم سيطرة ميليشياتها في نشر الفايروس في دول، كانت حكوماتها قد منعت السفر من وإلى إيران.

قامت شركة طيران ماهان وهي واحدة من شركات الحرس الإيراني المشمولة بالعقوبات الأميركية بنقل الفايروس إلى العراق ولبنان وسوريا ودولة الإمارات من خلال رحلات عديدة في الوقت الذي كانت فيه الحكومات في تلك الدول قد أغلقت الحدود الجوية مع إيران. ذلك ما يجب البحث عن أسبابه.

كان الفايروس يسافر إذا في سياق سياسة إيرانية مخترقا حدود دول، وقعت ضحية للاستقواء الإيراني. غير أن ما يصعب القبول به أو تصديقه أن شركة ماهان قد سيرت رحلات عديدة من إيران إلى دولة الإمارات. ما هو مؤكد أن طائرات تلك الشركة قد حطت مرات عديدة في مطاري النجف ورفيق الحريري وهي تحمل الفايروس من غير أن يكون مسموحا للسلطات الصحية بأن توقفه لكي تتمكن من احتوائه.

ما فعلته إيران لا يقل عما فعلته الصين على مستوى خدمة انتشار الفايروس. الفرق بين الدولتين يكمن في أن الصين قد تجد في الجهل حجة للتهرب من المساءلة وهو ما لا تملكه إيران. فالأخيرة قامت بنشر الفايروس في كل بلدان الشرق الأوسط والخليج العربي عن قصد مسبق.

لقد أصرت إيران على نقل مرضى مصابين بالفايروس اللعين إلى العراق طمعا في الشفاء بتقربهم من الأضرحة الدينية أو أن يقع موتهم على الأراضي المقدسة بالنسبة لهم. وهو ما أدى إلى أن تكون النجف واحدة من أكثر المدن العراقية تعرضا لهجمات الفايروس. أما في لبنان فقد كان الفايروس الإيراني يهبط برعاية حزب الله. وهو ما حدث في سوريا واليمن.

جريمة إيران تكمن في أنها لم تتستر على الفايروس مثلما تؤكد التهمة الموجهة إلى الصين بل إنها قامت بدور الموزع للوباء بأسلوب الـ"ديلفري". وهو ما يعني أنها كانت تعرف ما الذي تنقله إلى زبائنها الذين قُدر لهم أن يقعوا تحت هيمنة ميليشياتها المسلحة.

عولمة الوضع الطبيعي الجديد

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

بدأت الكثير من الدول تفكر في العودة تدريجيا إلى الوضع الطبيعي، بعد أن تسبب فايروس كورونا في خسائر تتجاوز الأبعاد الاقتصادية المباشرة إلى انسداد شرايين في السياسة والأمن والحياة المجتمعية السليمة، وكادت بلدان عديدة تفقد مناعتها الذاتية للعيش في ظل الوضع الاستثنائي الراهن، حيث أرهقها التعب، ونال من قدرتها على الصمود لفترة طويلة.

ضرب البعض توقيتات متباينة للعودة، ولم تجرؤ دولة عظمى أو صغرى على تحديد مواعيد نهائية للشفاء من الوباء، واستئناف العمل بالشكل الطبيعي، والذي لن يعود إلى صورته الأولى، فقد دخلت متغيرات قاسية أجبرت الكثير من الدول على تعديل مناهج حياتها، ووضع ضوابط لها، تتناسب مع حجم التداعيات التي تخلفها الجائحة.

يشير التردد في تحديد مواعيد حاسمة للنشاط إلى أن الأزمة ممتدة لأجل غير مسمى، ولا أحد يعرف عمق تأثيراتها الحياتية بالضبط، أو الحدود التي يمكن أن تقف عندها، أو حتى طريقة التوصل إلى لقاح يتكفل بوقف زحفها، فالأنواع التي أعلن عنها مؤخرا لا تزال في طور التجارب السريرية، ولم تتمكن جهة واحدة من تأكيد الثقة في دواء معين يمكن تعميمه رسميا.

كما أن الأخطار المترتبة على التسرع في العودة قد تكون جسيمة، ومن الصعوبة تحمل تكاليفها المادية والمعنوية، فالكل يعلم أن ضحايا كورونا لم يبلغوا أرقام ضحايا الإنفلونزا الموسمية وثمة مبالغات في بعض التقديرات، مع ذلك يمثل الاعتراف بذلك وتبني سياسة مناهضة للعزل مجازفة كبيرة تكبح قيادات تصرخ ليلا ونهارا من خسائر التباعد الاجتماعي.

تحتاج العودة إلى مسودة سلوك تحدد المرغوب والمسموح، وهي مسألة ليست هينة وتتطلب حزما وصرامة من الحكومات، وقبولا وتجاوبا وتعاونا من الشعوب، وذلك أشد وعورة في الدول التي اعتادت الحياة بقدر من العشوائية، لكنها لا تستطيع الإعلان عن عدم قدرتها على ضبط منظومتها الحياتية، فهناك سباق محموم نحو الالتزام بالطقوس التي فرضها كورونا.

تكمن المشكلة في الجزء الغاطس من الفايروس الذي لم يتم اكتشافه بعد، فكثير من المعلومات المتداولة متضاربة ومتناقضة، وتحمل ازدواجية لافتة في المنشط والمكره، وبدت هذه النتيجة رادعا في البداية للخوف من المجهول، لأنه لم تتم معرفة تفاصيل المرض ومصدره وأسبابه وطرق عدواه ووسائل علاجه. عقب مضي نحو ثلاثة أشهر من الفزع العالمي العام، بدأت تظهر علامات تمرد وعدم استسلام للجائحة ومخاوفها، وتعلو أصوات جهات كثيرة على الخمول، ويتبنى البعض فكرة التكيف معها كسائر الأمراض المتوطنة، كي يدب النشاط في الحياة، ويتم الاستعداد لوضع قواعد رشيدة وجديدة تساعد في تجاوز الآلام.

تعتزم بعض الدول الخروج من المأزق تدريجيا في الزمان والمكان، ولا توجد بيانات مؤكدة حول موعد العودة في أي دولة أعلنت استعدادها لذلك ووضعت توقيتات مبدئية وحددت مناطق للحركة وما يحمله ذلك من ضوابط، كأن هناك اتفاقا على عدم الخروج عن الإجماع العالمي، والمراقبة الدقيقة لتصرفات الآخرين، ومرجح أن يصل الأمر إلى التوصل إلى وثيقة ضمنية يمكن الاسترشاد بها في رسم خارطة للممكن والمستحيل من الخطوات المتبعة لاحقا.

بدأ كورونا يستنزف الكثير من الوقت والجهد والقدرات بطريقة تضاعف من التريث وتفرض المزيد من الحذر، وتتمهل بعض الدول في الإقدام على تحرك ما بشأن العودة إلى الحياة الطبيعية قبل أن تنظر إلى ما يفعله غيرها، بما يوحي أن هناك خارطة طريق قد يتم التوافق عليها والاسترشاد بها. الأمر الذي يفتح المجال نحو عولمة سلوك الدول، فقد أثبت كوفيد – 19 حجم الترابط الإنساني، فما يظهر من أمراض ينتقل بسهولة بين القارات.

تعلي دول عدة من تبني توجهات وتعميم مبادئ سياسية واقتصادية وقيم مجتمعية لدى الآخرين، لكن لم يخطر على بالها أن تفرض مصفوفة صحية عليهم، وهو ما تميل إليه الكثير من التوقعات.

فلم يعد العالم قرية صغيرة، فقد صار غرفة واحدة يعيش داخلها الجميع. المتقدمون والمتخلفون. الأغنياء والفقراء. الأصحاء والمرضى. الأمر الذي يقود إلى رسم معالم واضحة يهتدي بها الجميع أيضا.

تتضمن المعالم وصفة صحية في الظاهر، غير أن مضمونها سوف يكون شاملا لأدبيات وسلوكيات مختلفة تندرج في سياق العولمة الجديدة التي لن تتوقف عند الأطر الثقافية التقليدية، وتتسع لتشمل جوانب مؤثرة في خصوصيات الحياة، ما يفضي على المدى القريب إلى تلاشي الكثير من القيم التي تميز كل دولة، لأن ما يجري داخل دولة يؤثر على غيرها أو حتى له أصداء ضئيلة خارجها، فمن الضروري اتباع الأسس التي ترسمها التوجهات البازغة.

العودة تحتاج إلى مسودة سلوك تحدد المرغوب والمسموح، وهي مسألة ليست هينة وتتطلب حزما وصرامة من الحكومات، وقبولا وتجاوبا وتعاونا من الشعوب

تقود هذه المنظومة إلى تنحية سيناريوهات متعددة تم تداولها مؤخرا حول الصدام بين الولايات المتحدة والصين، متوقع أن يخسر فيه الطرفان جزءا من مقوماتهما الفاعلة، وتنشب حالة طويلة من العداء، وتظهر استقطابات حادة في العالم، تتخطى عملية التقسيمات التي تدور في فلك الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وتتشظى أقاليم عدة، وربما تدخل في نفق يصعب الخروج منه بسلام.

تتجاوز المنظومة الجديدة انعكاسات كورونا المباشرة التي ستكون المدخل لما هو أوسع نطاقا منها، وتضم مناحي استراتيجية في صميم الحياة التي يعيشها العالم، وتجعل بعض الدول الأقوى تتحكم فيها وتحدث تأثيراتها بشكل جماعي وأسهل، حيث يتطلب الوضع الحالي التعامل مع كل دولة على حدة مطلوب إحداث تحول ما فيها، ما يفرض دفع تكاليف مرتفعة دون امتلاك يقين كاف للحصول على العائد المطلوب.

لا تتوقف قضية العولمة على رغبة دولة بعينها لها قوة وسلطان ونفوذ على مستويات مختلفة، بل تمكن أكثر من دولة من امتلاك الآليات المناسبة للتعاطي مع الأوضاع العالمية، وكلما زاد الانخراط في هذه المعادلة ارتفع عنصر التأثير والتأثر. وقد يبدي البعض ممانعة أو رفضا، لكن في النهاية هناك شبكة تضم مسودة عالمية يصعب الفكاك منها.

ظهرت ملامح منها مع عدوى العزل والتباعد اللذين أوقعهما كورونا، فكل دولة تشد الأخرى. انظر إلى طرق الوقاية التي جرى التعامل بها مع المرض، وحجم النشاط الذي دب في دبلوماسية الصحة، ولاحظ معالم الانسحاب منها حتى الآن، تكتشف أن مفردات المنظومة بدأت تغزو وتتشكل فعلا، وتنتظر الإعلان عن مكوناتها، وضوابط التقيد بها، والعقوبات المنتظرة لمن يخرق قواعد العولمة الجديدة.